(الباب الثانى والعشرون أنواع الجود والمجود به)

الجود خمسة أضرب جود الله تعالى وهو البذل على كل أحد بقدر استحقاقه وجود الملوك وهو بسط المال على العفاة غنيهم وفقيرهم وجود السوقة وهم دون الملوك وهو بذل المال للسؤال وجود الصعاليك وهو البذل للندامى والشرب وجود عوام الناس وهو الاحسان الى الاقارب والمجود من ذلك كله الجود الالهى وهو الجود على كل بقدر استحقاقه فالمعطى ما يحتاج اليه من لا يحتاج اليه مسرف مضيع والمعطى لغيره شيأ لرهبة وافق نفسه والمعطية لرغبة له توبة أو لمحمدة دنيوية فتاجر وأما قول بشار

فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

فليس بغاية فى الوصف بالجود التام لمن وصف بتجارة محمودة وأحسن منه قول ابن الرومى

وتاجر البر لا يزال له * ربحان فى كل متجر تجره

أجر وحمد وانما طلب ال * أجر ولكن كلاهما اعتمره

وقد أجاد بشار بقوله

ليس يعطيك للرجاء ولا الخـ * ـوف لكن يلذ طعم العطاء

(الفصل السابع فى ذكر الافعال)

(الباب الاول فى أنواع الافعال)

الافعال ضربان الهى وانسانى فالالهى أربعة أضرب ابداع وتكوين وتربية واحالة وجميع ذلك يسمى خلقا من حيث كان وجود كل واحد بقدار والخلق فى الاصل التقدير المستقيم فالاول الابداع وهو ايجاد الشئ دفعة لا عن موجود ولا ترتيب ولا عن نقص الى كمال وليس ذلك الا للبارى تعالى وان كانت العرب تستعمل الابداع فيمن يحفر بئرا فى مكان لم يحفر فيه قبل والثانى التكوين وهو ايجاد الشئ عن عدم بترتيب ومن نقص الى كمال والمتكلمون قد يستعملون التكوين موضع الابداع ولما هفوا عن حقيقة التكوين استشنعوا قول من قال السماء ليست بمكونة وقدروا انه يقول ليست بمبدعة ولا مخلوقة وانما أراد

هذا القائل فيما ذكر أصحابه ودل عليه كلامه أن الله تعالى أبدعها ابداعا كما قال الله تعالى بديع السموات والارض ولم يخلقها خلقة ناقصة في ابتداء نشأتها ثم كملها شيأ فشيأ كالحيوان والانسان والنبات والثالث تربية الشئ وهي تغذيته وذلك استخلاف ما تحلل من أبدان ما وجد من كون ليبقى المدة المضروبة له وبه وقيل له تعالى رب العالمين والرابع احالة الشئ وهي التغاير اللاحقة للكائنات في كيفياتها من لون وطعم ورائحة والفعل الانساني ثلاثة أضرب نفساني فقط وهو الافكار والعلوم وما ينسب الى أفعال القلوب وبدني وهو الحركات التي يفعلها الانسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود وصناعي وهو ما يفعله الانسان بمشاركة البدن والنفس كالحرف والصناعات

(الباب الثاني الفرق بين الفعل والعمل والصنع)

الفعل لفظ عام يقال لما كان باجادة أو غيرها بعلم أو غيره بقصد أو غيره ولما كان من الانسان والحيوان والجمادات وأما العمل فيقال لما كان من الحيوان دون ما كان من الجمادات وبقصد وعلم دون غيره قال بعض الادباء العمل مغلوب عن العلم وان العلم فعل القلب والعمل فعل الجارحة وهو يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه وأما الصنع فانه يكون من الانسان دون سائر الحيوان ولا يقال الا لما كان باجادة ولهذا يقال للحاذق الجيد والحاذقة الجيدة صنيع وضاع والصنع قد يكون بغير فكر اشرف فاعله والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله والصنع أخص المعاني الثلاثة والفعل أعمها والعمل أوسطها فكل صنع عمل وليس كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس كل فعل عملا وفارسية هذه الالفاظ تنبي عن الفرق بينهما فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار وللصنع كنش

(الباب الثالث أنواع الصناعات)

هي ضربان علمي وعملي فالعملي ما يستغني فيه عن الاستعانة بالجوارح من اليد أو الرجل كالمعارف الالهية والحساب والعملي ما يستعان فيه بالجوارح وهو ضربان الاول ينقضي بانقضاء حركة الصانع كالرقص والثاني شئ يبقى له أثر

معقول

معقول لامحسوس كالطب وضرب محسوس كالكتابة

(الباب الرابع الافعال الارادية وغير الارادية)

الفعل الذى يظهر من غير الله تعالى اما تسخيرى واما غير تسخيرى فالتسخيرى يظهر لا بقصد من يظهر منه وقد يكون ذلك من الجماد والحيوان وهو نوعان نوع بتسخير الله تعالى كاحراق النار وتبريد الثلج وضرب بتسخير البشر كطحن الرحى وأما غير التسخيرى فضربان ضرب يكون من فاعله مبدأ الارادة وهو ثلاثة الاول بحسب التميز كمن تناول الخبيث دون الشر مؤثر اله والثانى بحسب الغضب كمن يبطش بمن يقدر عليه والثالث بحسب الشهوة كمن تناول ما اشتهاه والذى لا يكون منه مبدأ الارادة ولا منتهاها كمن رمى غرضا فأصاب رجلا وضرب يكون منه مبدأ الارادة لا منتهاها كمن حصل فى سفينة فخاف الغرق فكلف ان باقى متاعه فى الماء ليتخلص والافعال من الجمادات تقع بالتسخير فقط ومن الحيوانات تقع بالتسخير وبالنزاع الذى تقتضيه القوة الشهوية ومن بعض الحيوانات تقع بهما وبالغلبة التى تقتضيها القوة الغضبية ومن الانسان تكون بكل ذلك وبالفكرة التى تقتضيها القوة العاقلة

(الباب الخامس ما يستحق به اللوم وما لا يستحق)

الافعال ضربان ضرب ارادى وغير ارادى والارادى ضربان ضرب عن روية وضرب لا عن روية والذى عن روية ضربان أحدهما الذى عن روية تظن فى غاية الشرف وهو ما يكون بحسب النفس الناطقة ويسمى الاختيار وهو طلب ما هو خير له ويستحق أبدا به الحمد اذا كان على الحقيقة اختيارا والثانى عن روية فيما ليس هو فى غاية الشرف وذلك اما بحسب القوة الغضبية وهو دفع ما يضره وأما بحسب القوة الشهوية وكل واحد منهما اذا كان بقدر ما يوجبه العقل يستحق به الحمد واذا كان زائدا أو ناقصا يستحق الذم والارادى الذى عن غير روية واختيار ضربان أحدهما ما يفعله فى نفسه والثانى بغيره وكل ضربان تقع وضربا قصد به نفع نفسه فقد يستحق به الحمد والشكر معا وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم والعتب عليه وغير الارادى ثلاثة أضرب الاول يكون

قهريا ومبدأه من خارج ولا يكون من أربابه معونة بوجه كمن رفعته ريح فسقط على آنية فكسرها والثاني ان يكون الجائيا كمن أكرهه سلطان على فعل ما وهذا متى كان الملجأ اليه قبيحا جدا والسبب الملجئ اليه خفيفا يستحق مرتكبه الذم كمن يضرب على أن يقتل انسانا ومتى كان الملجأ اليه ليس بحميد بل قبيح وكان السبب الملجئ اليه عظيما لا يستحق مرتكبه الذم كمن يوضع على حلقه السيف فيهدد بأن يقتل ان لم يتكلم بكلام قبيح وكلاهما يقال له الاكراه والثالث الخطأ وهو ما يكون مبدأه من صاحبه وذلك نوعان أحدهما ما تولد عن فعل وقع منه وله ان يفعله كمن يرمي هدفا فيصيب انسانا وذلك يستحق به ملامة ما لم يقع من صاحبه تقصير في الاحتراز والثاني ما يتولد عن فعل ليس له ان يفعله كمن ضرب فسكر فحمله سكره على ان كسر اناء وضرب انسانا فان ذلك يستحق الملامة وان لم يكسر الاناء وضرب الانسان فقد ارتكب محظورا أدى به الى وقوع ذلك منه فالضرب الاول يقال له أخطأ فهو مخطئ والثاني يقال له خطئ فهو خاطئ ولهذا قال أهل اللغة خطئ في العمد وأخطأ في غيره

(الباب السادس الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها)

أكثر الاسباب التي يحتاج الفعل اليها في وجوده عشرة أشياء فانه يحتاج الى فاعل يصدر عنه الفعل كالنجار والى عنصر يعمل فيه كالخشب والى عمل كالنجر والى زمان ومكان يعمل فيهما والى آلة يعمل بها كالمنجر والمنحت والى غرض قريب كاتخاذ النجار الباب والى غرض بعيد كتحصين البيت به والى مثال يعمل عليه ويقتدى به والى مرشد يرشده وكل ذلك قد ينسب اليه الفعل فيقال أعطاني زيد اذا باشر الاعطاء وأعطاني الله لما كان هو الميسر له وربما جمع بين السبب البعيد والقريب فيقول اعطاني الله وزيد قال الشاعر

حبانا به جدنا والاله * وضرب لنا أجذم صارم

فنسب الى الاول وهو الله عز وجل والى السبب المتأخر وهو الضرب والى المتوسط وهو الجد وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت فأسند الاول الى الآمر به والثاني الى المباشر له وقال الشاعر في صفة الدرع * والبسنيه الهالكي * وقال كساهم محرق * فنسب الفعل الى عامله

عاملها وفي الثاني الى مستعملها وقال في صفة نبال

* نبال كسهام ريشها مفرحية * فنسب كسوتها الى الطائر الذي أخذ ريشه

قوله مفرحية في القاموس المفرحي الصقر الطويل الجناح اهـ م

يفعل لما وقيل يدانه أو دكاكا وفوك نفخ فنسب الفعل الى الآلة المتصلة ويقال سيف قاطع فينسب الى الآلة المنفصلة وقيل ضرب فعل وفاصل وطعن عاقب فنسب الى المحدث وقيل سركاتم وعيشة راضية فنسب الى المفعول وقال عز وجل حرما آمنا فنسب الى المكان وقيل يوم صائم وليل ساهر قال

* وما ليل المطي بنائم * فنسب الى الزمان فلما كانت أفعال الناس على ذلك صح في الفعل الواحد ان ينسب لاحد الاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين ومثل ذلك قوله

أعطيت من لم تعطه ولوانقضى * حسن اللقاء مرمت من لم تحرم

فأثبت له الفعل ونفاه عنه مع اعتبارين مختلفين ويقال هذا الخشب قطعته انا لا السكين ويقال قطعه السكين ولم أقطعه وفلان هداه الله وهداه الرسول وهداه القرآن وهداه فهمه فنسب الى كل ذلك وقال وأضله الله لما كان تعالى هو السبب الاول في وجود وجود الآلة وان لم يكن تعالى هو الداعي الى الضلال ويقال أضله الشيطان لما كان هو الداعي الى الضلال وأضلته نفسه لما تركت الاحتراز وهذا فصل من تأمله لم يعتمد في تثبيت المعاني على مثلها من الالفاظ فينظر من اللفظ الى المعنى بل ينظر في مثل هذا من المعنى الى اللفظ واعلم ان من أجل هذا الذي قدمنا قال قوم من المحصلين لا شئ من الافعال فاعله واحد في الحقيقة الا الله عز وجل فان فعله عز وجل يستغني عن الزمان والمكان والمادة ومثال يحتذيه ومن عداه من الفاعلين لا بد له من كل ذلك أو بعضه ولهذا لا يصح ان ينسب الابداع الى غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازا ويصح أن ينسب فعل الله تعالى الى كل ما تقدم ذكره

قال الشيخ أبو القاسم الراغب رحمه الله تعالى هذا آخر ما قصدت تبيينه من هذا المعنى وأختم القول (بحمد الله) والثناء عليه والتضرع اليه في أن ينفعني واخواني فيما تحريته ويجعلني ممن تذكر فتذكر وتبصر فبصر واتعظ فوعظ وتيقظ فأيقظ فاعظم الفجيعة أن يأمر من لا يأتمر وينزجر من لا ينزجر وان يدعى الحكمة من يرى القذى في عيون أخوانه فينكرها ويرى الجذع المعترض في

أجفانه ولا يغمرها فنصح غيره وغش نفسه فهو
كمن كسى الناس من عرقها وعورته * للناس بادية ما أن يوارى بها
وكالمسن يسن الحديد ولا يقطع وكالحجر المسلد يمر به الماء الناقع ولا ينتفع
هو به وقال عليه الصلاة والسلام ان الله ينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم
(ونرغب) اليه تعالى أن يصلنا برحمته من اتم بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث
قال بادر خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك
قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك فما أعظم في القيمة الحسرة
والندامة ان لم يتغمدني الله برحمته التي وسعت كل شئ فسهل يارب الجواز
ويسر لي بالجواز فقد حان حصادي ولم يصلح فسادي وصلى الله وسلم على
خاتم النبيين واجعله لي من الشافعين آمين

(يقول مصححه كثير العثار محمد المعروف بالنجار)

قد تم بحمد الله طبع كتاب الذريعة في أحكام الشريعة لبديع البيان
والمعاني أبي القاسم الراغب الاصفهاني الذي سارت من أجله الركبان
وسارعت الراغبون اليه من سائر البلدان وهو كتاب سطع في أفق سماء
الحكمة بدر هلاله وصاحبه أشهر من ان تعد محاسن خصاله وكان ذلك
في ثاني عشر شعبان سنة ١٢٩٩ هجريه على صاحبها أسمى السلام
وأتم التحيه فذه وقد بدر بدر طبعه بحسن شكله وعموم نفعه
بطبعة ادارة الوطن الجليله ذات الفوائد الجمة الجليله
مقابلا على أصله الفريد الذي لم يخل أكثره
عن التحريف والتعقيد والمرجو العفو
عن من جنى ولمن أصلح حسن الحمد
والثنا والحمد لله على التمام
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى جميع
أنبيائه الصلاة
والسلام